

(ب): أن التكذيب متجه إلى تسمية إخبارهم شهادة لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة للاعتقاد لم يكن شهادة في الحقيقة .

(ج) أن المراد لكاذبون في قولهم إنك لرسول الله لا في الواقع بل في زعمهم واعتقادهم لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع فيكون كذبا باعتبار اعتقادهم وإن كان صادقا في الواقع والحقيقة . فكأنه قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق (٢٣) .

وهكذا تحولت الدراسة الأسلوبية إلى ساحة للجدل العقلي الذي يتعد عن جوهر الموضوع . ولو وقف البلاغيون في تحديد معنى الخبر عند حد القول بأنه مالا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به لكفاهم ذلك .

ويبدو التأثير بمنطق العقل بعد ذلك في تقسيمهم الغرض من الخبر إلى ما يسمى بالفائدة ، ولأزم الفائدة ؛ فهذا التقسيم يرتكز على منطق العقل الذي يقول إن الخبر لا ينساق إلا إلى واحد من اثنين : من يجمله أو من يعرفه ولا ثالث لهما ؛ فالأول الغرض منه الفائدة ، والثاني الغرض منه لازم الفائدة . ونرى أن تعرض البحث البلاغي لمثل هذا الأمر ضرب من الفضول ، لأن الذي يعنى الدارس في المقام الأول هو صيغة الكلام وخصائصه التعبيرية ، وهذا الغرض الثاني وهو لازم الفائدة - باعتراف بعض الدارسين - لا يؤديه ، حقيقة ، لفظ الخبر وإنما يؤديه ضمنا فإن السامع إذا سمع من المتكلم ما يدلى به إليه من خبر عرف ضمنا أن هذا المتكلم عالم بالحكم الذي يتضمنه ذلك الخبر إذ يلزم من إدلائه به أنه عالم به (٢٤) . وقد بلغت الاستهانة بشكل التعبير اللغوي وإهمال الدارسين له ، أو تلمسهم لكل ما يتحقق فيه لازم الفائدة بقطع النظر عن الصورة التعبيرية التي ظهر فيها أن مثل بعضهم لهذا الغرض بالأخبار المتعلقة بأجوبة الطلبة على أسئلة الامتحانات باعتبار أن الغرض من هذا الإخبار ليس إلا إفادة الأساتذة المستمعين لها في الامتحانات

(٢٣) انظر أحمد مصطفى المراغى ، علوم البلاغة الطبعة الثالثة ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢٤) انظر الدكتور درويش الجندي ، علم المعاني ، مكتبة نهضة مصر ص ٣٠ .